الكرملي في ذكرى رحيله

مثقف جمع الطوائف والمكونات .. ومجلته أسهمت في نهضة العراق

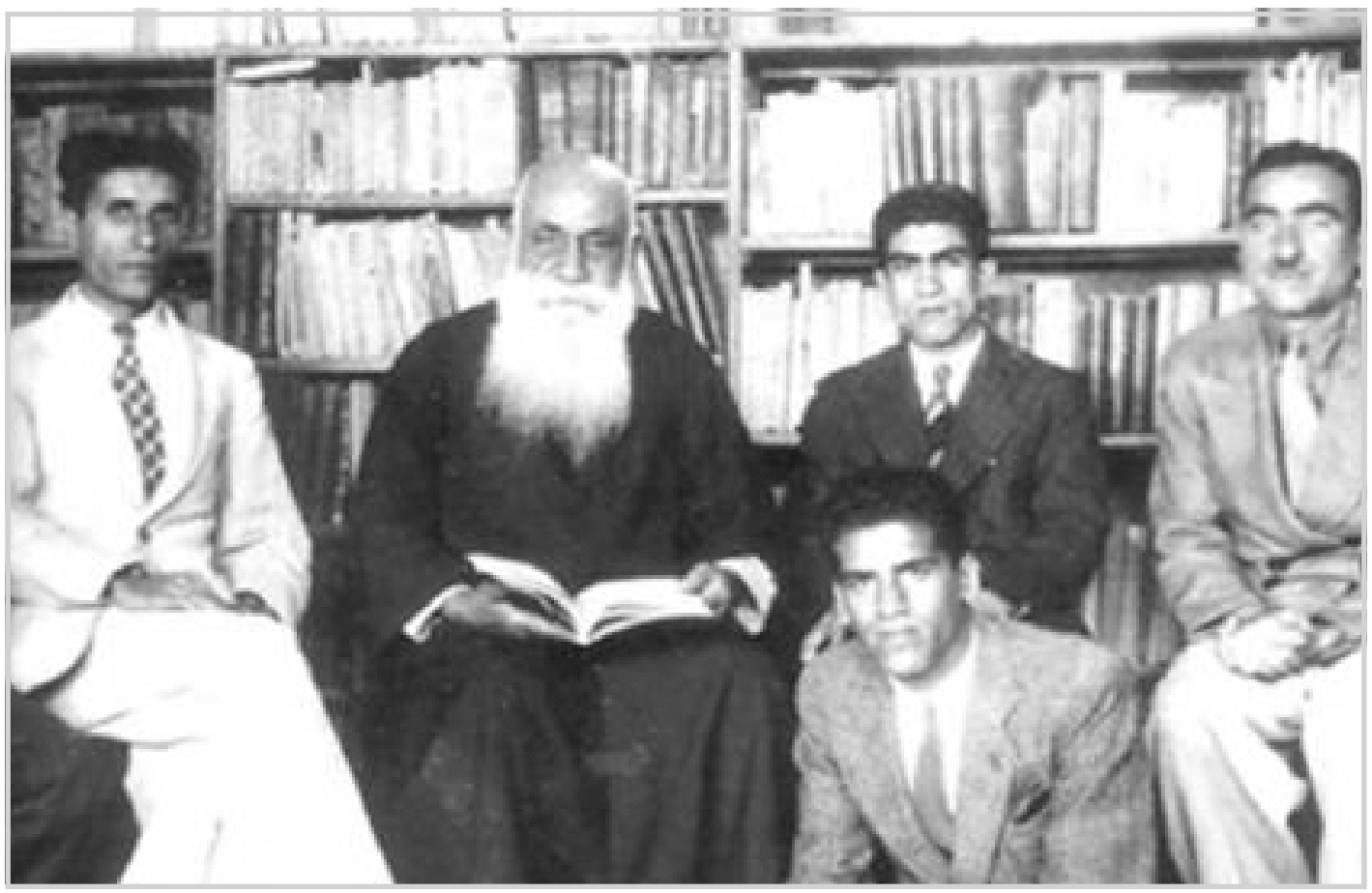

بغداد / المدى

استذكر عدد من المثقفين العراقيين الذكرى الـ ٦١ لرحيل الكاتب واللغوي العراقي الأب الكرملي، التي صادفت الأثنين، واعتبروه مثقفا رائدا في مجال التعايش الإيجابي بين المكونات العراقية ونموذجا للتسامح، معبرين عن الحاجة للاستفادة من تجربته في ظروف العراق الحالية التي تشهد صراعا طائفيا حادا.

فاطمة المحسن

د. فاطمة المحسن الناقدة والأديبة العراقية المقيمة في بيروت اعتبرت الأب الكرملي واحدا من أهم الشخصيات التنويرية في العراق.

وأضافت المحسن "لم يكن الكرملي مثقفا جامعا للطوائف والمكونات العراقية فحسب بل كان قادرا على التعريف بالعراق ونقله عبر مجلته (لغة العرب) الى مديات اوسع من حيث ايجاد مواضيع جديدة وطرق مستحدثة للكتابة في البلاد."

وذكرت المحسن، التي أعدت كتابا عن الكرملي ينتظر النشر قريبا، أن مجلته الشهيرة لغة العرب المهتمة باللغة والتاريخ والأدب والتي أصدر منها تسعة مجلدات بين عامي ١٩١١ و١٩٣٢ "أسهمت في خلق نهضة جديدة ومهمة في العراق آنذاك."

والأب انستاس ماري الكرملي كاتب وأديب لغوي عراقي ولد ببغداد يوم ٨ آب أغسطس سنة ١٨٦٦ من أب أصله لبناني وأم عراقية، درس اللغة العربية وعلوم عصره في بغداد وبيروت، ودرس اللاهوت المسيحي في أوربا وعاد إلى بغداد قبيل نهاية القرن التاسع عشر ليتفرغ طوال عمره للكتابة في مختلف حقول المعرفة حتى وفاته ببغداد يوم ٧ كانون الثاني ١٩٤٧ بعد أن ترك عشرات المؤلفات المطبوعة والمخطوطة، أهمها قاموسه (المساعد) الذي ما زال ينتظر استكمال طبعه.

علي بدر

الكاتب والروائي العراقي علي بدر اعتبر أن الكرملي كان رجل الثقافة الحديثة وقال "لقد كان الأب الكرملي واحدا ممن صنعوا لنا ثقافتنا في مرحلة حاسمة من تشكل الثقافة والوعي الثقافي العربي أي بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وقد كان أثره حاسما بل طاغيا على جميع الدراسات والأبحاث في تلك الفترة، وكانت بصماته واضحة وضوحا كليا في أبحاث مجايليه من الكتاب واللغويين."

وأضاف أنه "نظر للإسلام بوصفه التجلي الحقيقي لعبقرية اللغة العربية، ولذلك كرس كل جهده لخدمتها، وهذا ما جعل السلطات العثمانية آنذاك تضيق به ذرعا فنفته إلى مدينة قيصرى في تركيا بين عام ١٩١٤ وعام ١٩١٦، فقد كانت السلطة العثمانية ترى في دعوته لاستعمال العربية تقويضا للتركية في المنطقة العربية."

وعن مجلسه الأدبي قال إنه كان "ندوة ثقافية شهيرة جدا ببغداد ومؤثرة تأثيرا بالغا في عصره، فقد كان يتوفر على روح المعلم، وهي الخصيصة التي تطغى على كل ما كتب أيضا من أبحاث ودراسات."

واضاف أن "الكرملي كان أميرا للتسامح الديني واشتهر بصداقاته مع علماء المسلمين في إحياء وبعث العلوم والآداب العربية، وأوقف حياته برمتها لتيسيرها وتذليل صعوباتها". مبينا أنه "مازج بشكل عبقري بين آخر منتجات الدرس اللساني العالمي والدرس الكلاسيكي العربي."

واشار علي بدر إلى واحد من أهم سمات الأب الكرملي التي تتمثل بكتابة الرسائل والإجابة عليها، معتبرا أنها واحدة من الخصائص العلمية البارزة في شخصيته، وقال إن "خزانة رسائله تحتوي آلافا مؤلفة من الرسائل التي وفدته من مختلف بقاع الأرض، وتؤشر انهماكه في قضايا عصره، وعلاقاته مع النخبة المثقفة البارزة في تلك الفترة."

يذكر أن علي بدر نشر في عام ٢٠٠٥ الجزء الأول من رسائل المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون إلى الكرملي مع دراسة مفصلة، فيما نشرت خلال السنوات التي تلت وفاة الكرملي إلى الآن عدة كتب تناولت مراسلاته مع أقطاب عصره من عراقيين وعرب، ومن أهمها رسائله المتبادلة مع الشيخ محمود شكري الآلوسي، ومحمود تيمور وأحمد زكي ومحمد كرد علي.

رفعت عبد الرزاق محمد

الباحث والاعلامي رفعت عبد الرزاق اعتبر أن الاب الكرملي كان نموذجا للمثقف الذي كان يؤمن بالتعايش الإيجابي بين المكونات العراقية، مبينا أن ذلك أكثر ما يتجلى في مجلسة الاسبوعي الذي كان يعقده ببغداد.

وقال عبد الرزاق، الذي أنجز كتابا عن الصلة الأدبية بين الكرملي والأدبية اللبنانية مي زيادة وسبق له أن نشر المراسلات بينهما، إن مجلس الكرملي الأسبوعي الذي كان يعقده صبيحة كل يوم جمعة في دير الاباء اللاتين ومدرسة القديس يوسف في منطقة الشورجة وسط بغداد كان يضم عشرات الاسماء من الكتاب والباحثين وهواة الكتابة والبحث، وكان يرفع في صدر مجلسه لوحة تشير إلى أن الحديث في الدين والسياسة ممنوع، "وذلك لأنه ما من شيء فرق الناس قديما وحديثا الا الدين والسياسة."

وذكر أنه كان يحضر هذا المجلس الكثير من رجال الفكر ومن مختلف اطياف الشعب العراقي، مشيرا إلى أنه "كان مظهرا من مظاهر الحركة الثقافية في بغداد ويندر ان يحل عالم او اديب او مستشرق ببغداد الا ويزور هذا المجلس."

وقال إنه ممن كانوا من مرتادي هذا المجلس بشكل دائم من المسلمين من كلا المذهبين: الشيخ محمد رضا الشبيبي، وكاظم الدجيلي، ومحمد باقر الشبيبي، وعبد الرزاق الحسني، وعبد الصاحب الملائكة، والشيخ جلال الحنفي، وطه الرواي، وابراهيم الدروبي، وعاكف الالوسي، وعباس العزاوي، ود. مصطفى جواد... وغيرهم.

وتابع أنه كان يحضر المجلس من الكتاب والأدباء الاكراد: معروف جياووك، ومحمد امين زكي، وتوفيق وهبي..، ومن المسيحيين: يعقوب سركيس، ود.حنا خياط، ورزوق عيسى، ورزوق غنام، ورفائيل بطي..، ومن اليهود: انور شاؤول، سليم اسحق، مير بصري.. وغيرهم.

د. لويس ساكو

المطران د. لويس ساكو يرى أن الاب الكرملي رجل دين لكل الناس، وكان بعيدا كل البعد عن التعصب والطائفية.

وقال لـ (أصوات العراق) "كل انسان اعطاه الله موهبة وهي رسالته ومسؤوليته التي يدور حولها كل نشاطه، والاب الكرملي حباه الله بموهبة الادب واللغة، وأستطاع ان يحولهما الى جسر لخدمة الانسانية."

وأضاف "لقد حول الاب الكرملي ديره وشخصه الى ملتقى حضارات بين النهرين المتداخلة التي نشر رسالتها عبر عضويته في الجمعيات الادبية واللغوية، فتحول هذا الكاهن المسيحي الى شخصية اقليمية وعالمية."

وتابع أ، "الاب الكرملي لم يترك دعوته كرجل دين، لكنه تحول الى رجل دين لكل الناس، فتراه خالدا الى اليوم في فكره وأدبه ومؤلفاته."

وقال "ارى ان الكرملي استطاع ان يقدم تلاحما وتناغما بينه كإنسان ورجل دين، وبين عالمه الداخلي وبين المحيطين في العالم الخارجي." مبينا أن هذه الجدلية "عملت منه انسانا مفكرا لم ينغلق على نفسه كرجل دين حول معطيات لاهوتية بل تحول الى ناشط ومفكر سجلت له الريادة في نهضة الادب العربي في العراق."

وختم المطران ساكو بالقول "لقد كان انسانا منفتحا واسع الافق اهتم بتلاقح الثقافتين السريانية والعربية، واهتم وهو رجل الدين المسيحي باللغة العربية، لغة القرآن بلا تعصب او طائفية، فأين الناس منه الان في زمننا اليوم؟"

كريم الفرج

من جانبه اعتبر كريم الفرج، وهو صحفي ومؤرخ أعد أطروحة أكاديمية عن الأب الكرملي، ان الدين والسياسة "يفسدان" الثقافة ولهذا منع الأب الكرملي رواد مجلسه من التطرق إليهما.

وأضاف "لقد حمل الكرملي بهذه العبارة على المثقفين المترددين على مجلسه على مفهومين متميزين: اولهما أنه في الثقافة لا انتماء لدين او سياسة، فالدين له مثقفوه والسياسة لها مثقفوها، اما الثقافة التي كان يسعى إليها الكرملي فهي الثقافة الشاملة والتي هي من حصة كل الاديان وكل السياسات."

وتابع أنه كان "لتوجه الأب الكرملي هذا وبعده عن التعصب والطائفية وإشاعته لروح التسامح قولا وفعلا، اثر كبير في تشكيل دائرة ثقافية تحيط به وتتعلم منه، وكانت هذه الدائرة من جميع الاديان وطبقات الشعب العراقي، وكان هو صلة الوصل بينهم وبين المثقفين في العالم العربي والمستشرقين في العالم."

وقال الفرج "علينا كمثقفين الاقتداء بالكرملي ولنكن مثقفين تتصف اعمالنا بالبعد الاخلاقي والقيمي وننـدفع للتعاطف اللامحدود مع الثقافات الاخرى عبر البحث عن الكمال والصفاء والانسانية."

وتابع "فلنعمل بصدق ونزاهة لبلوغ العدل الانساني بعيدا عن الغطرسة العرقية والدينية وإلا ستصبح الثقافة مناقضة تناقضا مدمرا للمعرفة والحياة عموما.."

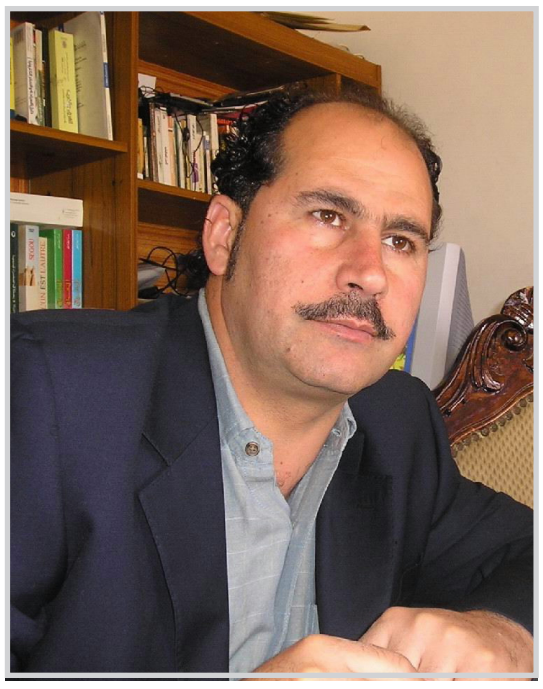

علي بدر

معجم مصطلحات القضاء العرفي عند العرب

باسم عبد الحميد حمودي

٤

حرف العين

العارفة: هو الحكم أو القاضي الذي تذهب إليه كل جماعة كل خلافاتها.

عاقبة السرح: الفتاة (المرأة) التي تتأخر في المرعى إلى ما بعد الغروب ثم تدعي أن شخصاً اعتدى على عرضها ويعتبرون تأخرها قرينة على عدم صحة إدعائها.

العايفة: انظر الطموح لكنها هنا تسعى إلى إجبار زوجها على تركها دون ارتباط بشخص آخر.

العد: عملية تجري بين أقارب الجاني لتحديد مسؤولية كل منهم.

العداد: خبير الأنساب الذي يقوم بعملية العد في مجلس خاص.

العداية: أخذ ماشية الغير من اجل إقراء الضيف.

العدم: تراجع (عوايد).

عرض الحق: استئناف قرار القاضي.

العرف: السواني- السوادي- الدرايب.

عمة الكاغد: نوع من التحالف المكتوب على الورق (الكاغد) بين فخذ عشائري وحمولة. أخرى.

العطوة: هدنة باتفاق الطرفين لمدة محددة.

العقبي: القاضي المختص بقضايا العرض.

العقيد(العجيد): قائد العشيرة الحربي وهو منصب غير وراثي.

علوق العاني: رباع من الإبل يقدمه المعتدي إلى خصمه عند موافقة الأخير على عطوة الإقبال.

العليم: زعيم العشيرة السياسي.

عمار دم: العائلة أو الجماعة الثأرية المتحالفة.

العمير: الشخص التابع إلى عائلة أو قبيلة وهو فرد منها.

العوارض: عوائل اختصاصها القضاء تحكم حسب العادات (في شمر).

عوايد: قواعد القانون العرفي في الصحراء الغربية المصرية وتدعى الدرايب أيضا، ومادتها الأولى تنص على: قبول الدية لتسوية المنازعات التي ترتبت على جريمة القتل وتقول أن القاتل عمدا هو وأقاربه ينزلون في حماية بيت من البيوت ثم يسير المنزول عليه بوفد من أعيان القبائل جبرانية لأهل القتيل ليتفقوا معهم على شروط وتعهدات تمنع التعدي على النزيل القاتل وأهل بيته وجماعته الثأرية، ويعطى المنزول عليهم حق النزالة (الدخالة) أو حق حماية الجاني لحول (عام) كامل، حيث يتآلف بعد هذا وفد من أعيان القبائل للصلح بين الفريقين، والصلح عادة يكون بدفع الدية التي تقدر بالجنيهات، يدفع النصف منها نقداً والآخر حيواناً.

ومن عوايد أولاد علي في الجرح أنه أذا ادعى المصاب بعدم أي عاهة، ولم ينكر الجاني ما أحدثه من جرح عليه أن يقدر العدم وتقدر ديته بمعرفة الطبيب والقاضي الشرعي.

حرف الغين

الغرة: فتاة من أقارب الجاني كانت تساق مع الدية ليتزوجها احد أقارب المجني عليه وقد ألغيت اليوم نهائياً.

الغريم: العدو أو الطرف الثاني في النزاع.

غز الراية: ويعبر بها عن إعلان الصلح، إذ يمسك احد أفراد الجاهة قطعة من القماش الأبيض ويربطها بعصا ثم يلوح بها دليلاً على إنهاء الخلاف وإحلال الصلح.

حرف الفاء

الفارضة: ويدعى (الفريضة) بكسر الراء أيضا، وهو القاضي الذي يفرض رأيه على الجميع باتفاقهم مسبقا على قبول حكمه ولا يجوز لأحد أن يعترض على ما يفرضه من حكم عقابي وقد يكون هذا احد رؤساء العشيرة (الشيوخ) أو احد السادة أو غيرهما ممن اتفق عليه وعرف بقدرته القضائية وفراسته بين العشائر.

الفتوة: (بتخفيف الفاء وفتحها مع الواو) وهو الذي يفتي في المنازعات بحسب التقاليد المرعية داخل العشيرة ويجب تنفيذ فتواه مادام قد تم الاحتكام له وعمله مشابه لعمل الفارضة (الفريضة) والعارفة ألا أنه يتم على نحو أضيق.

الفدع: القتل مع التشهير والتعذيب.

فراش العطوة: المال الذي تدفعه عشيرة المعتدي إلى عشيرة المعتدى عليه لقاء موافقة الأخيرة على العطوة.

الفريضة: راجع الفارضة.

الفزعة: تجتمع أفراد العشيرة من كافة مناطقها للدفاع عن نفسها واسترداد حقوقها.

الفصل: وهو نوع من الدية ويقدر بعدد من النساء والأموال حسب صنف الجريمة المرتكبة.

الفصل (في بوادي العراق)

١- يعوض دم القتيل بخمسين بعيراً وينفى القاتل سنتين وتضاعف الدية إذا أخفى القاتل الجثة.

٢- إذا حدث وثبت أن القتل كان على غير قصد فلا تعدو الدية بضعة اباعر تستبدل بالنساء.

٣- الجريح والمشوه يحكم له بنسبة التشويه اللاحق به.

٤- لأهل المرأة المعتدى عليها في وضح النهار وبالإكراه أن يقتلوا المعتدي فأن لم يجدوه فاحد أقاربه إلى الجد الخامس ولهم أيضا نهب أموالهم.

٥- إذا وقع الاتصال الجنسي برضا المرأة فلا حق لأهلها بالمطالبة بتلك الحقوق ما لم تقتل المرأة.

٦- إذا ثبتت السرقة على احد وجب عليه تأديتها ضعفين (لكن سرقة الأعداء مباحة لهم وكذلك قتلهم).

تنشر هذه الدراسة متسلسلة دون مراجعها وهوامشها اختصاراً وستظهر كاملة عند صدورها في كتاب

٧- إذا سرق الرجل صاحبه وجب عليه تأدية المسروق أربعة أضعاف السرقة.

٨- إذا عجز مديون (مدين) عن الوفاء بدينه أخذ غريمه المال من أقاربه ولا يسأله في ذلك احد.

فكاكات الآجال: أعذار التأجيل المقبولة عند البدو.

فنجان الجاهة: فنجان القهوة الذي يتناوله اكبر أفراد الجاهة مركزا أو سنا ويمتنع عن شربه حتى يستجيب صاحب البيت لطلبه.

فنجان الثأر: فنجان القهوة الذي يشربه أحد أفراد العشيرة استعداداً للثأر من طرف آخر اعتدى على عشيرته.

الفوات: التنازل عن الحق دون مقابل عن طريق السماح.

الفوال: هو البداة أو التنويل.

فورة الدم: مدتها ثلاثة أيام وثلث وتبدأ بعد ارتكاب الجريمة مباشرة وتسمى (المهربات).

- ينبغي الاشارة الى ان هذا المعجم ينشر متسلسلاً خالياً من الاحالات والهوامش على ان تظهر في كتاب يصدر عن (المدى) في زمن لاحق

حكاية شعبية

"حيّة البيت"

قاسم مطر التميمي

(حسنة) امرأة من (المعدان) ومازلت أتذكر وجهها الصبيح وقوامها المليح وسمرة بشرتها الخمرية الطرية التي يغطيها الوشم المنتظم، ما زلت أتذكرها برغم مرور ستين سنة ونيف على آخر مرة رأيته فيها كانت دون الأربعين من عمرها وكنت دون العاشرة. تأتي الى دارنا بعد الفراغ من توزيع بضاعتها على الزبائن في ضحى كل يوم لتجلس في باحة المنزل فتحصل منا على رغيف خبز خرج لتوه من التنور و (إستكان) شاي تبل به ريقها. وكثيراً ما تستخرج من قفتها إناءً صغيراً مليئاً بالقيمر تجعله غموساً لذاك الرغيف. وأنا أرقبها عن كثب وعيناي تتلصصان وشفتاي تتلمضان وحسنة غير غافلة عني فهي تدرك أن ماعوُن القيمر ذي الثلاثين فلساً لا يصيبني منه إلا نزر قليل لا يسمن ولا يغني من جوع. فتعمد في كل مرة الى أن تبقي لي من ماعونها بقية أنتحي بها جانباً بعيداً عن العيون المتربصة. ألتهمها على عجل وأعيد لها الماعون ملحوساً مكنوساً لتضعه في قفتها الكبيرة.

ولم تقعد عندنا طويلاً فها هن صويحباتها يقرعن بابنا ويستحثنها على النهوض للبدء بمسيرة العودة. فتنهض مسرعة للحاق بهن. إذ يعز على الواحدة منهن أن تقطع هذا الدرب الطويل وحيدة دون أنيس أو رفيق. فبعد أن يتركن قرية الماركيل (المعقل حالياً) ويجتزن قرية شط الترك يتوجهن نحو شط كرمة علي فيعبرن الجسر العائم الى ناحية الهارثة ويتوجهن غرباً ليجتزن بساتين النخيل الكثيفة، يمشين فوق درب ترابي ضيق مهدته أقدام البشر الحفاة الذين خلقوا للشقاء. وما أن يجتزن البساتين حتى تطالعهن شطآن الهور ذو المياه الضحلة الصافية الراكدة، تشرئب من بينها أعناق الجاموس الذي يمضي نهاره مستكيناً في هذه المياه إتقاء حرارة الصيف أم إذا أبطأت صويحباتها عن المجئ. وكثيراً ما يبطأن. فإنها تسترسل في الحديث عن قومها والبيئة التي تعيش فيها، وتروي لنا بعضاً من الحكايات الشعبية الخاصة بمجتمعها، المتداولة بين الناس هناك. كثيرة هي الحكايات التي كنت أصغي مندهشاً لسماعها، غير أن كرّ السنين وتعاقب الأيام أسدل ستائر النسيان على كثير من فصولها ولم تبق في الذهن إلا حكاية واحدة زعمت حسنة أنها واقعية وإنها تعرف (كويظم) بطلها.

ولم يكن (كويظم) هذا إلا واحداً من المعدان الذين يسكنون الصرائف في أواسط الهور. يتكون منزله من ثلاث صرائف وسوباط؛ واحدة له ولزوجته والثانية لأولاده أما الثالثة فلنزيل مقيم يعده كويظم واحداً من أفراد الأسرة؛ إنه حيّة رقطاء سامة. لا تبرح الصريفة إلا طلباً للماء والغذاء. لا تعتدي على أيّ فرد من أفراد عائلة كويظم ولا تمس أحداً بسوء برغم اقترانها منهم والسعي بين أرجلهم. حتى أنه لا تعترض أي حيوان من حيوانات المنزل كالبط والوز والدجاج أو الدواب (الجاموس). وربما سمعوا فحيحها قرب مائدتهم تنتظر أن يُلقى لها بقطعة لحم أو سمك مشوي كما يفعل القط الأليف.

وجاء من يحذّر كويظم من مغبة الإطمئنان للحيّة. فقيل له إنها حيوان سرعان ما يفقد عقله إذا ما استبد به الغضب أو الإنفعال. فلجأ الرجل الى التجربة ليتأكد من هذا الأمر؛ هل هو حقيقة أم محض هراء!! ولم يكن أمامه لإثارة غضبها إلا أن يعمد الى سرقة فراخها الصغار فوضعهم في سلة أحكم غلقها ووضعهم بعيداً بعد أن أفرغ الدار من أهلها وكمن في مكان حيث يراها ولا تراه. فلما عادت ولم تجد فراخها ذهلت واضطربت وسعت تفتش في كل مكان وكل زاوية من زوايا البيت، فلما يئست استبد بها غضبٌ شديد. ولّما لم تجد أحداً من أفراد العائلة لتنهشه وتفتك به، إنطلقت نحو (السوباط) حيث يضع كويظم قدور اللبن الرائب الكبيرة فكشفت أغطيتها وأخذت تتناول الحسوة تلو الأخرى من القدر ثم تعيدها إليه ممزوجة بسم زعاف. حتى إذا فرغت ولم تجد ما تفعله لتنال به ثأرها سعت مبتعدةً عن البيت كما لو أنها لمحت بصيص أمل في العثور على الصغار في أي مكان بعيد.

في هذه اللحظات الخطرة أسرع كويظم الى وضع الصغار في مكانهم وعاد الى الإختباء ثانية. ولم يطل غياب الحيّة كثيراً فقد عادت كدأبها الى مكان صغارها المعتاد ودهشت إذ رأتهم في المكان فبدت عليها الحيرة وارتبكت كثيراً واضطربت ولم تطل حيرتها كثيراً فقد أسرعت نحو قدور اللبن الرائب، تدور حولها وتتغمس فيها ثم تخرج لتتمرغ في التراب وتعود مرة أخرى لتنغمس في القدور. فعلت ذلك عشرات المرات حتى استحال اللبن الرائب الى طين خالص.

ونادى كويظم على أفراد أسرته طالباً منهم العودة الى البيت معلناً زوال الخطر! ترى، هل هناك من يصدق هذه الحكاية؟ أنا أصدقها فالخالة حسنة لا تعرف الكذب!